الصباح الإسلامية
09
العدد 1682 - السنة السادسة
الإثنين 2 ذي الحجة 1434 - الموافق 7 اكتوبر 2013
Monday 7 October 2013 - No.1682 - 6th Year

صور من اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالطفل

■ من هدي الرسول في معاملته للطفل أن يُستقبل في أوائل حياته بالفرح والبشر

■ السنة المطهرة حثت في تسمية المولود على اختيار الاسم الحسن له

■ كان رسول الله يغرس في قلب الصغير المعاني الإيمانية وتعويده على العبادة مروراً بالنواحي الخلقية والنفسية

■ أكد أيضاً على العدل والتسوية بين الأبناء فحذر الآباء من إثارة الغيرة بينهم بتفضيل بعضهم على بعض

الطفل هو رجل المستقبل، ومرحلة الطفولة من أهم مراحل حياة الإنسان، ومن ثم اهتم النبي صلى الله علي وسلم بأمر الطفل وتربيته منذ اللحظات الأولى لمجيئه للحياة، بل قبل أن يوجد، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل باختيار الزوجة الصالحة، التي ستكون أما ومدرسة للطفل، كما رغب المرأة في إيثار الزوج الصالح، الذي سيكون أبا وقدوة له، لينشأ الطفل ويتربى في بيئة صالحة، ويصبح عضوا نافعا في بناء المجتمع والأمة..

ومن هدي النبي صلى الله عليه وسلم في معاملته للطفل أن يُستقبل في أوائل حياته بالفرح والبشر، فعن سلمان بن عامر الضبي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (مع الغلام عقيقة، فأهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذى)... (البخاري).

كما حث النبي صلى الله عليه وسلم على تسمية الطفل واختيار الاسم الحسن له، حيث قال صلى الله عليه وسلم: (أحب الأسماء إلى الله تعالى، عبد الله وعبدالرحمن)... (مسلم)، وفي ذلك اهتمام بالطفل منذ ولادته، ومكرمة له تساعده على الابتهاج حين يُدعى باسم حسن..

وهكذا تبدأ وتتدرج من رسول الله صلى الله عليه وسلم العناية بالطفل والاهتمام به، من خلال توجيهات نبوية كريمة، في كل مرحلة من مراحل نموه، بدءا بغرس المعاني الإيمانية، وتعويده على العبادة، ومرورا بالنواحي الخلقية والنفسية.

فكان صلى الله عليه وسلم يغرس في قلب الطفل المعاني الإيمانية، ويظهر ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن عباس: (يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)... (أحمد).

ومن صور اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالطفل أمره للوالدين بتعويد طفلهما على طاعة الله، حتى ينشأ حسن الصلة بالله عز وجل، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع)... (أحمد).

ومن الأمور الهامة التي أكد النبي صلى الله عليه وسلم عليها، الاستقرار النفسي للطفل، ومن ثم أكد على العدل والتسوية بين الأولاد، فحذر الآباء من إثارة الغيرة بين الأبناء، بتفضيل بعضهم على بعض، بأي صورة من صور التفضيل المادي أو المعنوي، لما في ذلك من أثر سيء على الطفل.. فحينما أراد النعمان بن بشير رضي الله عنه أن يُشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على هبة لأحد أولاده، قال له النبي - صلى الله عليه وسلم: (يا بشير ألك ولد سوى هذا ؟. فقال له: نعم، فقال له: أكلهم وهبت له مثل هذا؟، قال: لا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فلا تشهدني إذا، فإني لا أشهد على جور(ظلم)... (مسلم)..

حتى القبلة حث النبي صلى الله عليه وسلم على العدل فيها مع الأبناء.. فعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً كان جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم فجاء بني له فقبله وأجلسه في حجره، ثم جاءت بنية فأخذها فأجلسها إلى جنبه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (فما عدلت بينهما)... (البيهقي)..

وأعطى النبي صلى الله عليه وسلم للآباء والمربين القدوة الصالحة في التعامل مع الأطفال، بأسلوب الرحمة والرفق والحب والمؤانسة..

عن عبد الله بن شداد عن أبيه قال: (خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى صلاتي العشي، الظهر أو العصر، وهو حامل الحسن أو الحسين، فتقدم النبي صلى الله عليه وسلم فوضعه ثم كبر للصلاة، فصلى فسجد بين ظهري صلاته سجدة أطالها، قال: إني رفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فرجعت في سجودي، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة، قال الناس يا رسول الله: إنك سجدت بين ظهري الصلاة سجدة أطلتها، حتى ظننا انه قد حدث أمر أوانه يوحى إليك، قال: كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني (ركب على ظهري) فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته)... (الحاكم).

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فاسمع بكاء الصبي، فاتجوز في صلاتي (أي أسرع) مما أعلم من وجد أمه من بكائه)... (البخاري).

وكان - صلى الله عليه وسلم - يلاعب ويداعب أبناء الصحابة، ويدخل السرور عليهم.. فعن أنس رضي الله عنه قال: (كان لي أخ يقال له أبو عمير، كان إذا جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا أبا عمير، ما فعل النغير) (البخاري)، النغير: طائر صغير كالعصفور.

إن ملاعبة النبي صلى الله عليه وسلم الأطفال وملاطفته لهم، والترويح عن أنفسهم - وهو من هو صلى الله عليه وسلم في علو منزلته وعظم مسؤولياته، تبين لنا مدى اهتمامه صلى الله عليه وسلم بالطفل..

ومع اهتمامه صلى الله عليه وسلم بالناحية النفسية للأطفال ومداعبته لهم، فإنه كان لا يترك فرصة أو موقفا، يحتاج الطفل فيه إلى تعليم أو تأديب، إلا أرشده ووجهه برفق وحب.. فعن عمر بن أبي سلمة قال: (كنت غلاما في حجر النبي - صلى الله عليه وسلم - وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك، فما زالت طعمتي بعد)... (البخاري)..طعمتي بعد: طريقة أكلي بعد ذلك.

الرحمة.. طوق النجاة

إنه خُلق نادر في دنيا الناس، فالأرض تئنّ من قسوة كثير من ساكنيها، انتشرت الجرائم والرذائل، كثر القتل وعظم الدمار، مئات، بل آلاف الأطنان من القنابل الفتاكة تنزل على رؤوس البشر، فتقتل الشيخ في بيته، والعابد في مسجده، والفلاح في حقله، والعامل في مصنعه، وتقتل الرضيع في أحضان أمه.. ماذا جرى؟ ما السبب؟ إنه غياب الرحمة.

مع أن الرحمة في الحقيقة كمالٌ في التكوين الفطري للإنسان، لكنه حين انحرف عن منهج الله أصيب في فطرته، مما جعله محتاجا لتذكيره بأهمية هذه الصفة وهذا الخلق.

أخي: هل تحب أن يرحمك الله؟

إذا أردت ذلك فارحم خلقه، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».

إن أهل الجنة هم من كانوا في الدنيا يرحمون الخلق ويرقون لهم: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال».

إن من عظمة الإسلام وكمال الشريعة أن أمر أتباعه بالرحمة، الرحمة بالناس، بالمسلمين، بالكافرين، بل بالحيوانات. قال الله عز وجل: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ»... [الأنبياء: 107]. وهذه أمثلة:

الرحمة بالأرملة والمسكين والبنات:

قال نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله». رحم الضعفاء من الناس فرحمه الله وأعلى درجته.

وقالت عائشة – رضي الله عنها –: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: (إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار)، أوجب لها الجنة برحمتها بناتها.

الرحمة بالصغار:

قبّل النبيّ صلى الله عليه وسلم الحسن بن عليّ رضي الله عنهما وعنده الأقرع بن حابس التميمي.

فقال الأقرعُ: إن لي عشرةً من الولد ما قبّلتُ منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ».

وقدم ناس من الأعراب على رَسُول اللّه صَلّى اللّه عَلَيْه وَسَلم فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ فقال: «نعم» قَالوا: لكنّا واللّه ما نقبل. فقال: «أو أملك أن كان اللّه نزع من قلوبكم الرحمة».

فهل تتعامل مع أولادك هذه المعاملة الراقية؟ هل تلاعبهم؟ هل ترحمهم؟

الرحمة بالمسلمين كافة:

لقد وصف الله عز وجل مجتمع المسلمين بأنه يتراحم ويواسي بعضهم بعضا: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا»... [الفتح:29].

«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».

فهل نحن كذلك حقا؟ هل نتراحم؟ هل نكظم غيظنا؟ هل نعفو ونصفح؟ وكلها من مظاهر الرحمة.

الرحمة بالحيوان:

روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها، إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَمَا رَجُلٍ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ فَقَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ».

ما أروع هذا الشمول الذي تتمتع به تعاليم الإسلام!!

امرأة تعذب بسبب قسوة قلبها تجاه هرة، ورجل يغفر له بسبب رحمته كلبا. إن الرحمة الإيمانية لتمد ظلالها وراء حدود الإنسان لتشمل حتى الحيوانات... نسأل الله أن يجعلنا من عباده الرحماء.

الإعجاز العلمي في القرآن

الهزات الأرضية والصدوع

■ القرآن أكد أن الأرض ذات صدع والعلماء أثبتوا أن الصدوع ضرورية لاستقرار الأرض

■ الهزات الأرضية تسبب العديد من الخسائر ولولا شبكة الصدوع لكان عددها أضعافاً مضاعفة

يؤكد القرآن أن الأرض ذات صدع! أي شق يقسم سطحها إلى أجزاء، وهذا ما وجده العلماء، ووجدوا أيضا أن هذه الشقوق أو الصدوع ضرورية لاستقرار الأرض عندما ننظر لكرتنا الأرضية من الخارج نراها كرة زرقاء بديعة تسبح في هذا الكون الواسع بكل هدوء، ولكن عندما ندخل لأعماق هذه الكرة الوادعة نرى التصدعات والتشققات والاهتزازات ونرى تفاعلات كيميائية، ونرى عالما يعجّ بالحركة والحياة والحرارة.

وقد كان يُظن في الماضي أن الزلازل تقتصر على أجزاء معينة من الأرض، ولكن بعد تطور أجهزة القياس تبين أن جميع أجزاء الأرض تعاني من اهتزازات وتصدعات تنتج عن هذه الهزات، وقد تحدث الهزات ولا نحسّ بها إلا إذا تجاوزت قوة معينة تحددها مقاييس الهزات الأرضية.

إذن يقرر العلم الحديث أن جميع أجزاء الكرة الأرضية تعاني من هزات باستمرار ينتج عنها تصدع مستمر. وهذا ما نجد عنه حديثا في كتاب الله تعالى حيث يقسم بهذه الأرض فيقول: «وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ»... [الطارق : 12].

وانظر معي إلى هذه الصياغة وهذه الصفة للأرض بأنها «ذات الصَّدْع»، إنها حقيقة ثابتة يعرفها علماء الأرض وقد تحدث عنها القرآن قبل 14 قرنا، أليس هذا إعجازا علميا واضحا؟ فالهزات الأرضية تسبب العديد من الخسائر كل عام، ولولا شبكة الصدوع لكان عدد الهزات الأرضية أضعافا مضاعفة ولكنها رحمة الله تعالى بعباده.

ويجب أن نتذكر بأن نظرية تصدع القشرة الأرضية بدأت منذ مطلع القرن العشرين أي بعد نزول القرآن بثلاثة عشر قرنا. ولم تصبح حقيقة علمية تؤيدها القياسات والتجارب والأبحاث إلا منذ عدة سنوات فقط.

والآن لو دخلنا إلى عمق الأرض ومررنا على طبقاتها لرأينا كتلا ملتهبة حرارتها تبلغ آلاف الدرجات، تبث إشعاعا عظيما وتولد ضغوطا كبيرة وتحرك الحمم المنصهرة في داخلها حركة دائمة.

تدفق الحمم المنصهرة في الصدع الموجود بمنطقة Mauna Loa خلال عام 1950، وهذه المنطقة هي الأكثر نشاطا في العالم.

كل هذا من شأنه توليد تصدعات مستمرة في القشرة الأرضية. لذلك نجد البيان القرآني يخبرنا عن هذه التصدعات من خلال التشققات التي تحدثها في قاع البحار مطلقة السنة اللهب والحمم المنصهرة فيقول تعالى: «وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ»... [الطور: 6].

فجميع بحار العالم نجد في قاعها براكين نشطة تقذف الحمم المنصهرة وتسجّر الماء وتحرقه ولكن على الرغم من الحرارة العظيمة التي تطلقها فهي لا تستطيع تبخير الماء، وعلى الرغم من ثقل الماء وعمقه وكبر حجمه إلا أنه أيضا لا يستطيع أن يطفئ هذه النيران! هذه النيران التي تم اكتشافها اليوم، سوف يأتي يوم القيامة حيث تزداد ضراوة لتسجّر وتحرق ماء البحر وهذا ما نجده في قوله تعالى: «وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ»... [التكوير : 6].

هذه الحمم المتدفقة من صدوع الأرض تتجمد مشكلة الحجارة بأنواعها، فإذا ما تدفقت من باطن البحر شكلت الجزر، وإذا ما تدفقت من اليابسة شكلت المناطق الصخرية والمناطق ذات التربة الخصبة، وهذا من رحمة الله بعباده، فتأمل!

عندما يشتعل البحر يوم القيامة، فإن النتيجة المنطقية لهذا الأمر هو ازدياد ضغط الطبقات الأرضية بفعل الحرارة الهائلة مما يؤدي إلى تحرك ألواح القشرة الأرضية وتحرك الجبال معها. لذلك نجد القرآن يحدثنا عن هذه الحقيقة المستقبلية بقوله تعالى: «وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ»... [التكوير: 3]. وفي آية أخرى: «وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا»... [الطور: 10].

والعجيب أن كلتا الآيتين حيث الحديث عن اشتعال البحار وتسجيرها نجد الحديث عن حركة الجبال وسيرها. وهذا هو المنطق العلمي فارتفاع حرارة باطن الأرض وقذف ما فيها من كتل منصهرة إلى سطحها يؤدي إلى احتراق البحار، وإلى تسيير الجبال.

ففي سورة الطور نجد قوله تعالى: «وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ» ثم يقول «وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا». وفي سورة التكوير يقول تعالى: «وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ» ثم يقول «وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ» فهل نحن مستعدون للقاء الله في ذلك اليوم.